

تفسير ابن كثير

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

يذكر تعالى في هذا المقام محتجا على مشركي العرب ، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت

أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة

بسببه أهلة تبرا ممن عبد غير الله ، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال : (رب اجعل هذا البلد

آمنا) وقد استجاب الله له ، فقال تعالى : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس

من حولهم) [العنكبوت : 67] وقال تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة

مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا) [آل عمران :

96 ، 97] وقال في هذه القصة : (رب اجعل هذا البلد آمنا) فعرفه ، كأنه دعا به بعد

بنائها ؛ ولهذا قال : (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) [إبراهيم :

39] ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ، فأما حين ذهب

بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة ، فإنه دعا أيضا فقال : (رب اجعل هذا بلدا

آمنا) [البقرة : 126] كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولا . وقال : (

واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته . ثم ذكر أنه افتنن بالأصنام خلائق من الناس وأنه برئ ممن عبدها ، ورد أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كما قال عيسى - عليه السلام - : (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) [المائدة : 118] وليس في هذا أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى ، لا تجوز وقوع ذلك .